



+ آباؤنا القديسون

البار يوسف ناظم التسايح

الصلاة هي الرباط الوحيد الذي يربطنا بالله، لأنها الحديث الذي يقيمه المؤمن مع الله. فالصلاة تفتح حياتنا على الله وحياته، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأثبات لا يُنطق بها" (رومية ٨: ٢٦). " الصلاة سلاح عظيم، كثر لا يفرغ، غنى لا يسقط أبداً، ميناء هادئ وسكون ليس فاضطراب. الصلاة هي مصدر وأساس بركات لا تحصى، هي قووية وقوية للغاية... الصلاة مقدمة لطلب السرور" (القديس يوحنا الذهبي الفم). الصلاة أيضاً تذكّرنا، قسي وسط هذا العالم الذي يمجج بالإلحاد والخطيئة والمظالم، أن لنا إلهاً حياً وملكوته معدداً وحياته أخرى مجيدة ودينونة لا بد أن نجوزها. كما تذكّرنا أيضاً أننا أبناء الله، أبناء الثور ومملكتنا ليست من هذا العالم لأنها تهبنا سلاماً ونوراً داخلياً يحصننا حتى نجتاز مغريات هذا العالم ناظرين وموجهين أعمالنا وأقوالنا وأفعالنا نحو الله وحده، نحو ملكوت السماوات. فإن ما اختره القديس يوسف من حياة الصلاة جعله يعبر عن هذا الشوق بنظمه لأكثر التسايح التي نستعملها في صلاتنا اليومية في الكنيسة.

ولد هذا القديس في جزيرة صقلية في أوائل القرن التاسع. ولما غزا العرب وطنه وافتتحوه هرب منه وصار ينتقل من مكان إلى آخر حتى وصل بادئ الأمر إلى أحد الأديار حيث عاش سنين طويلة حياة الرهبنة، مواظباً على الصلوات والصيامات وأعمال البر والفضيلة. رُسم كاهناً وأرسل إلى مدينة تسالونيكية ووكّل إليه الإرشاد والوعظ فيها. ثم انتقل إلى مدينة القسطنطينية مكابداً فيها الضيقات الكثيرة بسبب غيرته للمحافظة على الإيمان القويم. وهناك نظم التسايح والتشاهد في إكرام القديسين والشهداء. هذه التسايح مدونة في كتبنا الطقسية ككتاب الميناون الذي يحوي صلوات الأعياد على مدار السنة وكتاب المعزّي الذي يحوي الصلوات المسائية والسحرية ونصف الليل بحسب الألحان الثمانية على مدار الأسبوع وكتاب التريودي المستعمل في أيام الصيام الأربعيني المقدس. نسّمعه يرثم: "أيها المسيح الغني لقد تمسكنت مفتقراً فأغنيت الأنام بالإشراقات وعدم الموت. فلذلك أغني بالفضائل أنا الفقير من تلقاء لذات العمر ورتبني مع لعازر المسكين ونجّني من عقوبات الغنى وجهتم المعدة لي" (القطعة الأولى من صلاة المسلك في الأحد الخامس من الصوم).

رقد البار يوسف بالرّب سنة ٨٨٢ ولقّبه الكنيسة بناظم التسايح لأنه ترجم حياته التي قضاها في محبة الله تسايح ونشاند تعبّر عن غنى رافة الله ومحبتة لنا واعياً " أن الإنسان الذي لا يحب الصلاة... ليس فيه شيء صالح... فالذي لا يصلّي لله هو ميت بالروح وليس فيه حياة" (القديس يوحنا الذهبي الفم). تعيد له الكنيسة المقدسة في الثالث من شهر نيسان، فبشفاعته ألهّم ارحمنا وخلصنا، آمين.